عليّ عساكر البلدية حليت أفواههم . فلما رجعني اولاد الحارة ، على اعتبار شهرتي الشهيرة ، استحليتها منهم فتركوني أحل في الحارة مطمئنا .

غير ان الرجل الكبير لم يحل عني . فاستكتب ورقة يأمرونني فيها بالاقامة الجبرية . فأخفيتها حتى يظل عساكر البلدية يجبرون بخاطري . فاذا بالرجل الكبير يرسل عساكره فيداهمونني على بسطتي ، في عز الظهر ، فيقتادونني الى السجن متهمينني على رؤوس الاشهاد بأنني خالفت أمر الاقامة الجبرية وسافرت الى شفاعمرو اتسوق بطيخا وان هذا الفعل يطيح بكيان الدولة . فالذي ينقل البطيخ سرا ينقل الفجل سرا ، وبين الفجل والقنابل اليدوية مجرد لونه الاحمر . والاحمر ، على كل حال ، ليس الازرق والابيض . وبالبطيخ تستطيع أن تنسف كتيبة كاملة ، اذا اخفيت فيه قنابل نعل ، يا بغل !

فأجابهم البغل : ولكنني أفتحها على السكين !

قالوا : والسكين أيضا . .

فلما انتشر الخبر بأن ورقة الاقامة الجبرية قد جاءتني ازداد الاقبال على بسطتي حتى جاءني شاب وقد تأبط صحفا . حيى وقال :

ـ جاءتك ؟

قلت : جاءتني منذ زمن طويل .

ـ فلماذا لا تقرأ الجريدة ؟

قلت : لانكم لم تجيئوا .

فقمت وعلقت ورقة الاقامة الجبرية على جدار البسطة . فلم يمض يومان حتى جاءت الشرطة ، وأبلغتني بأن الحاكم تلطف وألغى أمر الاقامة الجبرية . وان دولتنا دمقراطية . ثم انتزعوا الامر من على الجدار وأعادوني الى السجن قائلين انني حقرت أوراق الدولة الرسمية .

وقال كبيرهم : لو كنت في بلد عربي هل كنت تجرؤ على التباهي بورقة الاقامة الجبرية ؟ ان دمقراطيتنا لا تصلح لكم .

وذلك وأنا في طريقي الى السجن .

وفيما أنا خارج من الساحة الداخلية الى الساحة الخارجية مطلق السراح ، وقفت على طرف الطريق من بيسان الى العفولة استوقف سيارة تحملني . فاذا بسيارة خصوصية على رقمها حرف « ش » بالعبرية اشارة الى أنها من مواليد « شخيم » ، وهي نابلس لا غير ، تتوقف فجأة أمامي .

ويدعوني سائقها الى الصعود فأصعد شاكرا .

وكان ان جلست في المقعد الخلفي وحيدا وأنا مستوحد . وكانت فتاة جالسة الى جانبه ولم أر منها سوى شعر فاحم السواد كشعري بلا شيب . فقلت في نفسي : أنا في ايش وفكري في ايش .

وما اجتزنا طرفا من الطريق حتى دهمني السائق بالسؤال : كنا نعود قريبا في سجن شطة فأخبرنا الزملاء بأنك التقيت سعيدا . ولكن المدير أنكر وجوده . فهل تعرف له من مكان ؟

فانقبضت نفسي من هذا السؤال . فتحسست مقبض الباب كي أنزل من هذه